



يرفع الشيعة دعوى المظلومية، في خطابهم الخاص بالسنة، فما يقصدون بها؟ وما حقيقتها؟ تعالوا بنا لنلقي الضوء على هذه الدعوى.

يقصد بـ"المظلومية" المزعومة أهل السنة، فليس هناك "ظالم" سوى أهل السنة، لا إسرائيل ولا الولايات المتحدة ولا الاستعمار القديم أو الحديث، ولا الإمبريالية، ولا التخلف الاجتماعي أو الاقتصادي، ولا أي شيء آخر؛ الظالمون -من وجهة نظر الصوفيين- هم السنة.

وليس جرائم الإبادة التي يتعرض لها أهل السنة في العراق وسوريا، سوى نوع من تصفية حساب تاريخية للظلم التاريخي الذي تعرض له الشيعة، فيما يزعمون.

فأهل السنة -من منظور "المظلومية"- أعداء، ويجوز قتلهم في حمى الثأر من "تاريخ" لم يروه ولا عاشوا أحدهاته ولا مارسوا ظلماً فيه.

هؤلاء هم الأعداء، وليس الغزاوة، فهؤلاء بالتواطؤ الضمني الراهن حلفاء وأصدقاء.

وماذا كان "الظلم"؟

"الظلم" المزعوم، هو أن الخليفة لم تذهب لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم، كما أنها لم تذهب لأبنائه من بعده من دون سائر الصحابة والمبشرين بالجنة، دع عنك سائر خلق الله.

الخلفاء الذين تولوا السلطة بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بنوا دولة متaramية الأطراف، وحكموها بالكثير من قيم الإسلام وأخلاقياته، وبالقليل مما يفعل البشر من أخطاء، وهي آلت إلى علي بن أبي طالب، ولم يخسرها إلا طعنا من داخل معسكره، وكان من الطبيعي أن تؤول إلى الطرف الأقوى.

"المظلومية" في الصراع كان يمكن أن تكون مظلومية للأمويين الذين خسروا الخلافة للعباسيين، ولهؤلاء تجاه المغول، لكنها لم تبق حكراً على التشيع الصوفي إلا لأنها كانت تغذي العداء تجاه السنة.

التشيع الصوفي، على أية حال لم ينشأ كحزب سياسي، إلا بعد مرور تسع قرون من وفاة علي بن أبي طالب عام 661م.

خلال تلك القرون، كان "حب آل البيت" جزءاً من الإسلام، لا مشروعًا مضادًا لهدم الإسلام، وهو ما يقي الشيعة العراقيون بحسبونه، وظلت العروبة حاديبهم فيه، ليروا أنها أصل من أصول الإسلام، ومن هذا الأصل جاء قوله تعالى: "إنا أنزلنا قرآنا عربياً لعلكم تعقلون".

ولكن ثمة قرآن آخر، فارسي، تملأه البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، كما تغمره الأكاذيب وأعمال التزوير التاريخية. أما ستاره فكانت نفاق "المحبة" المزعومة لآل البيت، ولكن، ليس كأية محبة؛ وإنما المحبة في مواجهة خصوم من قبيل أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعائشة (رضي الله عنهم)، ومن قبيل كل الذين نصروا الإسلام وأزروه وقادوا دولته ولم يكونوا من أبناء فاطمة الزهراء.

قرآن التشيع الصفوی هذا، ظهر على يد صفي الدين الأردبيلي، قبل أن يتحول إلى مذهب رسمي للدولة الفارسية على يد إسماعيل ميرزا، أو الشاه إسماعيل الأول بين عامي 1501 و1524م، الذي استخدمه لتوحيد إيران عن سبيل القهر والقسر والفرض.

وكان إيران، قبل ظهور مشروع (نشر التشيع الصفوی)، دولة إسلام تتبع فيه فقهًا متنوعًا، وتأخذ بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، من دون أن تعرف، كغيرها من دول الإسلام، أنها "سنیة" بالمعنى السياسي المضاد.

ونجح المشروع الصفوی ببعث دولة بدت موحدة وقوية.

وبفضل القهر، أصبح السنة هم العدو الأوحد للتشيع الصفوی.

ومنذ ذلك الوقت، عزموا على إبادة أهل السنة، ومساجدهم، ومدارسهم، وأصبحت تهدم؛ تحت شعار "المظلومية".

وكان من الطبيعي لآيات النفاق الصفوی أن يجمعوا الأمرین معاً: قتل الأبریاء، واللطم على الحسين؛ اغتصاب النساء، وتآلیه فاطمة الزهراء، التواطؤ مع الغزاة، والزعم أنهم أعداء، هدم بیوت الله، والزعم أنهم مسلمون، والإسلام منهم براء.

قد تکفى فکرة "المظلومية" وحدها لتبدو كفضیحة قائمة بذاتها، لأنها تستعدي مسلمین أبرياء وتهدم بیت دینهم من داخله، ولكن هدم المساجد بالجرافات، والقتل على الهوية، يکفى دليلاً على حقد أعمى ضد الإسلام نفسه.

شئون خليجية

المصادر: